مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 12 عدد: 3، سبتمبر 2023
ص: 13 - 24 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

أثر العلاقات النحوية والدلالية في تماسك النص القرآني

The effect of grammatical and semantic relations on the coherence of the Quranic text

د. زبيدة ساسي *
Dr.saci zoubida
جامعة باجي مختار-عناب (الجزائر)
Badji Mokhtar Univercity-Annaba (Algeria)
zoubidarss@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2023/02/20	تاريخ القبول: 2023/04/17	تاريخ النشر: 2023/09/02

ملخص البحث

تهدف هذه الدّراسة إلى الإقرار بعبقرية النّظام اللّغوي في النّص القرآني وقدرته على التعبير الدّقيق اعتمادا على وسائل التماسك النّصي، إذ تمثل العلاقات النحوية والدّلاليّة المعيار الأساسي الذي تتحقق به نصيّة أيّ نصّ. فبها تفهم معاني العبارات، وتؤدّي المعنى المقصود. واخترت سورة الشعراء نموذجا للتطبيق. وعليه طرحت الإشكالية التالية: ما هي أنواع العلاقات النحوية والدّلالية التي يزخر بها نص"سورة الشّعراء"؟ وكيف أسهمت هذه العلاقات في تماسك السورة؟

الكلمات المفتاحية : نحو النص - تماسك- نص- وظيفة نحوية- علاقة دلالية.

Abstract :

This study aims to recognize the genius of the linguistic system in the Quranic text and its ability to express it accurately on the basis of the means of textual coherence, since grammatical and semantic relations represent the basic criterion by which the textuality of any text is reached. It understands the meaning of sentences and executes the intended meaning. And I chose Surah Al-Shu'ara as a model for the application. Accordingly, the following problem was raised: What are the types of grammatical and semantic relationships that abound in the text of "Surah Al-Shu'ara"? How did these relationships contribute to the coherence of the Surah?

* د. زبيدة ساسي: zoubidarss@gmail.com

Keywords: text grammar - coherence - text - syntax functions -. Semantic relation.

أولا. مقدّمة:

يمثل "نحو النّصّ" (grammaire de texte) أحدث المناهج اللّسانيّة التي تعنى بالدّراسة الوصفية للأبنية النّصّية، فتكشف عن الأدوات والعلاقات التي تؤدّي إلى نصّيّته (textualité).

ويرى الباحثون أنّ عنصري الاتّساق (cohésion) والانسجام (cohérence)كفيلان بتحقيق التلاحم بين أجزاء النّصّ. وهما من المعايير النصية التي يشترط دي بوجراند توفرها في أي نص حتى نحكم على نصيته. وتنتفي عنه هذه النصية لو نقص أحدها. وهي: الاتساق(cohésion)-الانسجام (cohérence)-القبول(acceptabilité)- القصد(intention)- الإعلامية(informativité)- التناص (intertextualité)-السياق(contexte).

فإذا كانت القراءة الأفقية للنص (مستوى الاتّساق) تكشفت عن الرّوابط الشكلية التي تجمع أجزاءه، وتجعله نسيجا متراصا، فإن القراءة العمودية أو الرأسيّة (مستوى الانسجام) تكشف لنا عن العلاقات الدّلاليّة الرابطة بين أجزاء هذا النص. هذه العلاقات تجعل هذا النسيج يأخذ بعضه بأعناق بعض. فكما "يتجاوز نحو النص نحو الجملة، يتجاوز التماسك الدلالي الترابط النحوي."[1] فإذا كان الاتساق يحقّق الاستمرارية النحوية (أو الخطية) لجمل النص، فإن الانسجام يحقّق الاستمرارية الدلالية للنص، فيضمن له وحدته الموضوعية. لأنّ "النص الذي يعجز مستقبلوه عن اكتشاف مثل تلك الاستمرارية فيه، يعود إلى وجود خلل كبير في المزاوجة بين تشكيلة المفاهيم والعلاقات التي يعبّر عنها النص وبين المعرفة القبلية للعالم في أذهان المستقبلين."[2] وعليه اخترت البحث في كيفية تماسك النص القرآني من خلال سورة الشعراء باتباع المنهج الوصفي مع الاستعانة بالتحليل.

والهدف من هذا البحث هو الإقرار باتساق وانسجام النص القرآني من خلال الإجابة على الإشكالية الآتية: ما هي أنواع العلاقات الدّلالية والنحوية التي يزخر بها نص"سورة الشّعراء"؟ وكيف أسهمت هذه العلاقات في تماسك السورة؟

ثانيا. التعريف بالسورة:

سورة الشعراء -كباقي السّور المكّيّة- تتحدث عن وحدانية الله، وتدعو إلى الإيمان به، ونبذ الكفر، وتصحيح المعتقد، وإعمال الفكر. فجاءت على شكل ثنائية ضدّية هي: الكفر في مقابل الإيمان أو الهدى في

مقابل الضلال. فالرسول (صلى الله عليه وسلم) يدعو إلى وحدانية الله وقومه يعاندون ويستهزئون ويكفرون بما جاء به. فحملت في طياتها إنذارا للمشركين بما سيقع لهم إن تمسكوا بمعتقداتهم القديمة، وتمثّل هذا الإنذار في جملة من قصص الأنبياء وما جرى لهم مع أقوامهم وهم: موسى – إبراهيم – نوح – صالح – هود – لوط – شعيب (عليهم السلام).

ثالثا. الاتساق، يضمن الاستمرارية الشكلية لبنى النص، ويتحقق بعدة وسائل نحوية ومعجمية ومنها:

الوظيفة النحويّة وأثرها في تماسك النّص[3]:

يهتمّ علم النّحو بالكشف عن عبقريّة النّظام اللّغوي في النّص وقدرته على التّعبير الدّقيق عن المعاني الكامنة وراء التراكيب المختلفة. فهو أحد مستويات الدّراسة اللّسانيّة، يبحث "في منطق اللّسان، ويحلّل ضروب العلاقات بين كلماته، ويشرح سليقة الأمّة المنعكسة في هذا البناء الإعرابي المعجب(...)"[4]. لذلك ربط الجرجاني النّحو بالنّظم ربطا وثيقا عبّر عنه بقوله: "اعلم أن ليس (النّظم) إلاّ أن تضع كلامك الوضع الّذي يقتضيه (علم النّحو) وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه الّتي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم الّتي رسمت لك، فلا تخلّ بشيء منها (...) فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم أو فساده، أو وصف بمزيّة وفضل فيه، إلاّ وأنت تجد مرجع تلك الصّحّة وذلك الفساد وتلك المزيّة وذلك الفضل، إلى معاني النّحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتّصل بباب من أبوابه."[5]

فالنّحو هو الرّكيزة الأساسيّة التي يقوم عليها النّظم[6]. فالهدف من النّحو ليس فقط معرفة الصحيح من الخطأ، وقواعد التركيب والإعراب، وقضية العامل في الرّفع والنّصب والخفض، فهذه لتعليمها وتعلّمها حتّى يستقيم اللسان، وإنّما الهدف يتعلّق بمعاني العبارات، ووضعها الموضع الّذي تؤدّي به المعنى المقصود في الذّهن[7]. فالنحو - علم العربية- هو السبيل لفهم الخطاب القرآني.

وخصّصت هذا العنصر لدراسة الجمل التي تتعالق بجمل أخرى نحويا وتزيد في دلالة النص، لأنّ "كلّ علاقة تزيد في الجملة على علاقة الإسناد، إنّما ينشئها المتكلّم للبيان، وإزالة إبهام وغموض قد يعتريان المعنى الدّلالي للجملة إن لم ينشئ المتكلم تلك العلاقة (...) وهذا كله خاضع لسياق المقام وغرض المتكلم..."[8]. فمعرفة الوظيفة النحوية للجمل التابعة لغيرها، توضح لنا العلاقة النحوية والدّلالية بينها، وتبيّن سبب ورودها في النص، وفضل توضيحها للمعنى وتوسيعه.

1- **دلالة الجملة التفسيرية:**

وهي من الجمل التي لا محل لها من الإعراب عند النحويين، لكنّها تؤدّي دورا توضيحيّا لما أبهم قبلها، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(10)﴾ فجملة (أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) تفسيرية، تعلقت بفعل النّداء لتبين لنا سبب نداء الله-عزّ وجلّ- لموسى (عليه السلام) وهو تكليفه بالذّهاب إلى قوم فرعون. ومثلها في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُون(52)﴾ وقوله: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ(63)﴾. فالفعل (أوحينا) مبهم يحتاج إلى

توضيح. فكانت الجملتان، أن اسر/ وأن اضرب وما تبعها جملتين تفسيريتين. وضحت الأولى أنّ الله أوحى لموسى (عليه السلام) بالخروج ببني إسرائيل من مصر لأنّ فرعون وقومه يأتمرون على قتلهم. ووضحت الثانية أنّ الله (عزّ وجلّ) أوحى له - وهو في عرض البحر وفرعون وجنوده يتبعونهم- أن يضرب بعصاه البحر، ليجعل له ولمن معه طريقا للنجاة. فنرى أنّ الاستغناء عن جملة التفسير يربك المعنى، ويقلق المتلقّي، لأنّه لا يقف للفعل (نادى/أوحى) على تأويل واحد.

2- دلالة الجملة المعطوفة:

تسهم هذه الجمل في توسيع التراكيب شكلا ومعنى. ومثالها قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (12) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ(13)﴾. فالجملتان المعطوفتان تحتملان الرفع أو النصب بحسب ما عطفت عليه، وفي كلّ مرّة تؤدّي معنى. فإن كانت على الشكل:

إنّي (أخاف + يضيق + لاينطلق) . فالفعلان معطوفان على خبر إنّ (أخاف)

وإن كانت على الشكل:

إنّي أخاف (أن يكذّبون+ يضيق+ لا ينطلق). فالفعلان معطوفان على مفعول أخاف.

والاختلاف في الإعراب يؤدّي إلى الاختلاف في المعنى. يقول الزمخشري: "والفرق بينهما في المعنى أنّ الرفع يفيد أنّ فيه ثلاث علل: خوف التكذيب وضيق الصدر، وامتناع انطلاق اللسان، والنّصب على أنّ خوفه متعلق بهذه الثلاثة.."[9]. فهذه الجمل المعطوفة بيّنت سبب التماس سيدنا موسى لربّه بأن يؤازره بأخيه هارون.

أمّا في جواب قوم إبراهيم عن سؤاله بقوله:﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (70) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ(71)﴾. فجملة (فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ) معطوفة على جملة (نعبد أصناما) وهي مقول القول مفعول به للفعل قالوا. وإضافتها تبيّن أنهم فخورون بعبادة هذه الأصنام ومبتهجون بها.فأرادوا بهذا العطف المبالغة في ذلك[10] . إذ أنّهم بينوه أوّلا حين كرروا الفعل(نعبد)، الذي يغني السؤال عن ذكره.

3- دلالة الجملة الحالية:

ومحلّها الإعرابيّ النّصب، وتؤدّي دلالة الوصف. قال تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (128)﴾. تتكون هذه الجملة من:

حرف استفهام + فعل مضارع + فاعل + جار ومجرور + مفعول به + حال(جملة فعلية)

أمّا الاستفهام فغرضه الإنكار والتوبيخ. والجار والمجرور لتوضيح المكان. والمفعول ليبين نتيجة الفعل (هذه القصور). والفعل يفيد التجدّد والاستمرارية في البناء. وأمّا جملة الحال، فجاءت فعلا لتدلّ على التجدّد، وجاءت في المضارع لتدل على الاستمرارية في العبث. فهي وصف لما يقوم به قوم هود (عليه السّلام) فتبيّن لنا أنّ هؤلاء القوم كانوا يبنون قصورا للسّكن، وأخرى لا حاجة لهم بها إلاّ لمجرّد اللّهو وإظهار قوّة الأجسام، التي يفخرون بها.إذ يرون أن لا أحد أشدّ منهم قوّة.

فلو أنّنا حذفنا هذه الجملة واكتفينا بالقول أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً هل كنا سنفهم سبب ورودها. وهل كنا سنعرف أنّ قوم هود[11] (عليه السلام) بهذا التباهي والعناد والجبروت. فهذه الحال أخبرتنا -إضافة لما ذكرناه- عن حالة الضّياع الّتي عاشها قومه.كيف لا وهم كانوا ينهكون أنفسهم، ويهدرون وقتهم ومالهم، لا لشيء سوى للعبث.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ(111)﴾ نجد جملة (وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ) حالية، قالها قوم نوح (عليه السلام) ليبيّنوا له أنّ من اتّبعوه هم أقلّ منهم شأنا، فكيف يتساوون مع من هم دونهم. وهو تعريض بنوح (عليه السلام) بأنّ دعوته تستهوي الضعفاء من القوم. فلننظر إلى هذه الدّلالات التي أضافتها هذه الحال إلى النص، فماذا لو حذفت؟

4- دلالة جملة البدل:

تعرب بحسب المبدل منه، وتأتي لتأكيد المعنى وتوضيحه. قال تعالى:﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (153) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا(154)﴾. فجملة (مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا) بدل من الجملة السّابقة (إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ) فكون سيدنا صالح مسحّرا يساوي كونه بشرا. ونجد نفس الآية قد قيلت لسيدنا شعيب -عليه السلام- بفارق وحيد هو الواو الرابطة بين جملتي القصر. وفي هذه الزيادة يكمن الاختلاف. يقول الزّمخشري: "...إذا أدخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم: السّحير والبشرية. وأن الرسول لا يجوز أن يكون مسحّرا، ولا يجوز أن يكون بشرا. وإذا تركت الواو فلم يقصد إلاّ معنى واحدا، وهو كونه مسحّرا، ثمّ قرّر بكونه بشرا مثلهم."[12]

5- دلالة جملة الصلة:

يأتي الاسم الموصول مبهما، فتكون جملة صلته هي المزيل لهذا الإبهام وتوضيحه. قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (77) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ(82)﴾. فالجمل (خلقني- يطعمني- يميتني- أطمع) هي صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.لكن دلالتها، في الإخبار بهذه الأوصاف عن ربّ العالمين لعلّ قومه يعقلون. فجمع سيدنا إبراهيم (عليه السلام) " في صفة ربّه عناصر العقيدة الصحيحة: توحيد الله ربّ العالمين، والإقرار بتصريفه للبشر في أدقّ شؤون حياتهم على الأرض، والبعث والحساب بعد الموت، وفضل الله وتقصير العبد. وهي العناصر التي ينكرها قومه، وينكرها المشركون"[13]. فلو أمكن أن يستغني النّصّ عن الاسم الموصول وصلته ويكتفي بالقول: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾، لفسد المعنى المقصود. وعليه فالاسم الموصول (الذي وهو في محل صفة لربّ العالمين) وجملة الصلة هي حجة إبراهيم (عليه السلام) في التعريف بربّه.

6- دلالة جملة الإضافة:

ومحلها الإعرابيّ الجرّ، لأنّها تتلو دائما ما أضيفت إليه لتوضّحه وتوسّع من معناه. قال تعالى:﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (87) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88)﴾ فالجملتان (يبعثون-لا ينفع) في محلّ جرّ مضاف إليه لظرف

الزّمان (يوم). ورد الفعلان في المضارع للدلالة على الحدث مستقبلا (يوم قيام الساعة). فالجملة الأولى توضّح لنا الزّمن الذي يطلب فيه إبراهيم (عليه السلام) من ربّه ألاّ يخزيه. وكلمة يوم في الجملة الثانية هي بدل من يوم السابقة، وجملة الإضافة توضح أنّ يوم البعث لا ينفع الإنسان شيء من ماله ولا بنيه، غير عمله الصالح. فلننظر إلى الآية الكريمة لو حذفنا هذه الجمل، هل سنعلم متى يريد إبراهيم (عليه السلام) أن يتحقّق دعاءه الذي جاء بأسلوب النهي ؟

فهذه العلاقات النحوية بين مختلف الجمل وضحت وأسهمت بشكل لافت في تماسك نص السورة بما أضفته من زيادة في المبنى والمعنى.

رابعا. الانسجام:

يرى دي بوجراند أنّ الانسجام مختصّ بالاستمرارية التي تتحقّق في عالم النص، وتتجلى هذه الاستمرارية الدلالية في منظومة المفاهيم concepts والعلاقات relations التي تربط بين المفاهيم.[14]

والانسجام عند براون ويول يقوم على مدى تأويل المتلقي للنص حيث يعالجان في كتابهما (تحليل الخطاب) "كيفية استعماله أداة للتواصل. وكيف يؤلّف رسائل لغوية يوجهها إلى المتلقي فيقوم هذا بمعالجتها لغويا على نحو خاص لتفسيرها."[15] فالرّبط كما يرى كوهن يمكن أن يتم بواسطة الأداة أو بدونها، ويتحقّق الثاني بمجرّد القران الذي يعتبر -حسبه- الطريقة الشائعة للرّبط، يقول:" إنّ حضور أداة العطف ومع بداية كل جملة يجعل الخطاب ثقيلا جدا، لذلك يميل الكلام إلى مجرّد القران (...) ورغم أنّ البلاغة التقليدية أطلقت اسم (الفصل) على حذف الرابط فإننا نعتبر القران الشكل العادي للوصل."[16] فوسائل الرّبط اللّغوي عامل مهم في تماسك النص؛ إلاّ أنّها غير كافية لجعل النص متماسكا، فلا بد من توفّر علاقات دلالية[17] تضمن هذا الترابط.

والعناصر التي تؤدي إلى انسجام أيّ نصّ يصعب حصرها، فهي عديدة ومختلفة من نصّ لآخر، ومن لغة لأخرى، لكن أبرزها هي:

أ- الأبنية النصية: وهي:البنية العليا - البنية الكلية -الأبنية الكبرى -الأبنية الصغرى.

ب. العلاقات الدلالية المنطقية (وهي عنصر البحث)

ج. علم المناسبة (في القرآن الكريم).

د. الإيقاع الصوتي.

وبما أنّ كل عنصر يحتاج إلى صفحات من البحث فإنّني سأكتفي بدراسة عنصر "العلاقات الدّلالية المنطقية" والذي يتضمن:

- علاقة الإجمال والتفصيل.
- الترتيب المنطقي للأفكار.
- علاقة السبب بالنتيجة.

العلاقات الدلالية المنطقية في السورة:

1/علاقة الإجمال والتفصيل:

وهي إحدى العلاقات الدلالية المنطقية المتوفرة في النص القرآني. إذ يأتي الكلام مجملا ثم يلحقه تفصيله دون وجود رابط شكلي بينهما، ففي:

أ- قصة سيدنا موسى (عليه السلام) حين هدّده فرعون بالزجّ به في السجن، اقترح عليه موسى أن يأتيه بشيء معجزٍ يصدّق ما يقوله في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (30)﴾ فجاءت كلمة "شيء مبين" مجملة تحتاج إلى توضيح وبيان، فتكون الآيات التالية لها مرتبطة ارتباطا قويا بها في قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (32)﴾وقوله ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (33)﴾

فتفصيل كلمة(شيء مبين) تمثل في ذكر العصا المتحولة إلى ثعبان، وخروج اليد البيضاء.

وحين آمن السّحرة بربّ هارون وموسى وانقلبوا على فرعون، هدّدهم بقوله: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (49)﴾.

فقوله تعالى: "فلسوف تعلمون" هو إجمال للتهديد حمله الفعل تعلمون مع سوف، ثم يفصّل هذا التهديد بقوله تعالى: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ(49)﴾، حيث ذكر لهم نوع التهديد والعذاب الذي سيلقونه. وهو تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف وصلبهم جميعا دون استثناء، تنكيلا بهم على ما فعلوه به، إذ كفروا به وآمنوا بموسى (عليه السلام).

ب- في قصّة سيدنا هود (عليه السلام): في قوله تعالى: "واتقوا الذي أمدّكم بما تعلمون". جاء الفعل(أمد) مجملا مبهما يحتاج إلى توضيح فتلته الآية التي تفصل لنا شتى أنواع الخيرات التي أنعم بها الله عز وجل على قوم عاد، في قوله تعالى: ﴿أَمَدَّكُمْ بأنعام وبنين، وجنات وعيون (134)﴾.

ج- في قصة سيدنا صالح (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (146)﴾ فالظرف "هاهنا" مجمل يشير إلى ما أنعم الله به على قوم سيدنا صالح (عليه السلام)، فيأتي قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، وزروع ونخل طلعها هضيم، وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين(149)﴾ مفصلا للكلمة المبهمة(هاهنا) حيث نلاحظ انسجاما بين قطع النص بفضل هذه الاستمرارية الدلالية .

د- ورد الإجمال أيضا في قصص بعض الأنبياء في كلمة "ألا تتقون" التي كان كل نبي يحظّ قومه عليها لاستنكار ما كانوا يفعلونه من شرك وفساد في الأرض. فكان كل نبي يقول: "ألا تتقون فيما تفعلون". فجاءت هذه الجملة مجملة فصلتها الآيات التي بعدها بحسب كل قصة.

هـ- ففي قصة سيدنا هود (عليه السلام) فصلتها الآيات ﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون، وإذا بطشتم بطشتم جبارين130 ﴾.

و- وفي قصة سيدنا لوط (عليه السلام) جاء التفصيل بالدعوة إلى الكفّ عن هذا الفساد العظيم الذي لم يسبقهم إليه أحد من العالمين في قوله تعالى: ﴿ أتاتون الذكران من العالمين، وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (166)﴾.

ز- أما في قصة سيدنا شعيب (عليه السلام) فجاء تفصيل أعمالهم الدّنيئة بما نهاهم عنه سيدنا شعيب ودعاهم إلى تقوى الله في قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (181) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (182) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (183) وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ (184)﴾ وهي دعوة لوضع قوانين المعاملة التجاريّة بينهم، وتقوى الله الواحد الأحد.

إن علاقة الإجمال والتفصيل ضمنت الاستمرارية الدلالية بين أجزاء النص وحققت انسجامه بفضل توضيح وتفسير ما جاء مجملا.

2/ الترتيب المنطقي للأفكار:

جاءت أفكار النص مرتبة ترتيبا منطقيا، لا يجوز فيها تقديم أو تأخير لأن ذلك يفسد المعنى المقصود بهذا الترتيب، ومثال ذلك ما جاء في:

أ- قصة سيدنا موسى (عليه السلام) مع فرعون:

لنلاحظ هذا التسلسل المعجز الوارد في هذه الآيات، حيث ابتدأت القصّة بنداء سيدنا موسى لتكليفه بدعوة قوم فرعون لعبادة الله في قوله تعالى:﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (11) ﴾. فناسب هذه الدعوة ما جاء على لسانها حين ذهبا إلى فرعون، إذ قالا: ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (17)﴾. ولم يدعوَا فرعون لأنهما بعثا لقومه. ولكن حين كلّف موسى بهذه المهمة أعرب عن قلق في نفسه، فاستعطف ربّه قائلا: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (12) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ (13) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ(14)﴾. فبدأ خوفه بالتكذيب الذي هو الدّافع للإحساس بالألم وضيق الصّدر ممّا يؤثّر عليه نفسيا، فلا يسترسل في الكلام، فيكون هارون (عليه السلام) إزرا له أثناء محاجته لفرعون.

فردعه ربّه و﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ(15)﴾ فختمت الآية بكلمة "مستمعون"، ونعلم أنّ الاستماع يستدعي قولا. فجاء سياق الآيات في هذه القصة عبارة عن حوار دار بين سيدنا موسى (عليه السلام) والطاغية فرعون. تكرّر فيها فعل "القول" ستة وعشرين مرّة.بدأت بقوله تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (16)﴾. فلما أتيا فرعون ردّدا ما أمرهما به فلم يعقب فرعون على كلمة "ربّ العالمين" وحوّل مسار حديثه، فذكّره بتربيته له، وبفعلته، لعله يرجع عن دينه، غير أنّ موسى لم يأبه بما قاله، فأنكر عليه ما منّه به. فيرجع فرعون إلى ما قاله موسى، لأنّه بهذا القول (ربّ العالمين) قد هدم ما كان يدّعيه فرعون من الربوبيّة التي بنى عليها ملكه، وما اعتقدته به بنو إسرائيل، فيخسر سبب استعباده لهم. فيبدأ مناظرته بالسؤال عن ربّ العالمين، فيجيبه موسى بما يناسب عقله. فيدعوه إلى التأمل في الكون: فينظر إلى السماء والأرض وما

يخرج منها.ثم يستمرّ الجدال بينهما وتكون الغلبة لموسى (عليه السلام) بفضل حجته الدامغة التي دحض بها ادّعاءات فرعون. فلم يجد له سبيلا إلاّ تهديده بالسجن. فكان لا بد لموسى أن يجد مخرجا قوياّ لهذه الأزمة، فقال: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (30)﴾. وبما أنّ زمن موسى (عليه السلام) كثر فيه السحر والسحرة، كان لابد أن تكون حجته تتضمن السحر، فجاءت كذلك في قوله تعالى:﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (32) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (33)﴾. وحين قدّم آيته لفرعون، اتّهمه بالسّاحر، وجمع له سحرته لليوم المعلوم. وتستمرّ أحداث القصّة في تتابع منطقي، حيث تتلقف عصا موسى ما صنعه السحرة، فيلقى السحرة ساجدين، ويؤمنوا بربّ العالمين. وهنا، يتوعدهم فرعون بالعذاب الأليم، لأنّه تيقّن أنّ الخطر ألمّ به وبقومه، ولا رادع لموسى إلاّ بقتله. فأوحى له ربّه بالخروج، فتبعه فرعون وقومه، حتى بلغا اليمّ. فأوحى الله لموسى أن يضرب بعصاه البحر، لتكون المعجزة التي ينجو بها موسى ومن آمن معه، ويغرق بها فرعون ومن معه. وهي نهاية منطقية لقوم كفروا بربّ العالمين.

ونجد النهاية نفسها في باقي القصص، لأنّ أنبياء هؤلاء الأقوام دعوا إلى عبادة الله وحده، وعدم الإفساد في الأرض، لكنهم تعنّتوا وأخذتهم العزة بالكفر فما كان جزاؤهم إلاّ العذاب العظيم.

ب- في قصة سيّدنا إبراهيم (عليه السلام) في الآية: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (83)﴾ قدم قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ على قوله: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ فعلّل الرازي هذا التقديم بقوله: "لأن القوة النظرية مقدمة على القوة العملية، لأنه يمكنه أن يعلم الحق وإن لم يعمل به، وعكسه غير ممكن لأن العلم صفة الروح والعمل صفة البدن، وكما أن الرّوح أشرف من البدن كذلك العلم أفضل من الإصلاح"[18].

ج- في قصة سيدنا نوح (عليه السلام): قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (108)﴾ فنرى أنّه قدّم التّقوى على الطّاعة وهو ما يفسره أبو حيان بقوله: "لأن تقوى الله سبب لطاعة نوح (عليه السلام)"[19].

د- في قصة سيدنا شعيب (عليه السلام): حين دعا قومه للإيمان والكف عن الإفساد في الأرض، قالوا له: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (187)﴾.

فجاء الرّدّ موافقا للطلب؛ إذ جاءهم العذاب من السّماء في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (189)﴾ والظلّة هي:"سحابة أظلّت قوم شعيب بعد حرّ شديد أصابهم، فأمطرت عليهم نارا فأحرقتهم."[20]

فهذا التسلسل والترتيب والتنظيم المحكم للأحداث هو الذي جعل جمل وفقرات النص كتلة واحدة متسقة منسجمة.

3/- **علاقة السبب بالنتيجة:** تحقق هذه العلاقة الانسجام داخل النص من خلال التلازم القائم بينهما، لأن أحدهما يحدث نتيجة الآخر ولولاه لما حدث، ففي:

- قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (63)﴾ نلاحظ أن الفاء ربطت بين جملة (اضرب) وجملة (انفلق) لأنّ ضرب البحر بالعصا كما أُمر موسى - عليه السلام - كان سببا نتيجته انفلاق هذا البحر.

- وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (51)﴾. سبقت النتيجة السبب، حيث أنّ الطمع في المغفرة سببه أولويتهم في الإيمان وتحقق هذا الربط بلام التعليل المحذوفة في قوله تعالى: "أنْ كنّا"

- وفي قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (206) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (207)﴾ فتمثّل السبب في اجتماع المتعاطفين معا (متعناهم، فجاءهم ما كانوا) فكانت النتيجة أنّ هذا لم يُغنهم ولم يردعهم عن كفرهم فربطت (إن) بين ثلاث جمل كبرى.

- وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (198) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (199)﴾ فربطت (لو) بين السبب (النزول فالقراءة) والنتيجة (عدم الإيمان).

فهذه العلاقة حققت التتابع بين قضايا النص وبالتالي انسجامه.

خامسا. الخاتمة:

يشكّل القرآن الكريم حقلا خصبا لأي نوع من الدّراسات اللّغوية والأدبيّة، نظرا لطبيعة تشكيله المعرفي والأسلوبي فهو كتاب ما زال الباحثون يتتبّعون أسراره وإعجازه ويقفون على مراميه. وبعد تحليل السورة الكريمة خلص البحث إلى النتائج التالية:

- حققت العلاقات النحوية والدلالية تماسكا واضحا في النص القرآني.

- تزخر السورة الكريمة، كباقي سور القرآن الكريم، بالعديد من العلاقات الدّلاليّة المنطقية التي جعلتها كتلة متسقة منسجمة.

- أسهمت الجمل التي لها محل والتي ليس لها محل من الإعراب في اتّساع المعنى وتكثيف الدلالة بفضل ما تقدّمه من جديد في النص، ففي مثل قوله تعالى: ﴿فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (202)﴾ فجملة الحال (وهم لا يشعرون) أضافت صفة عدم الشعور بالعذاب وقت إتيانه، وهو ما وسّع النّصّ أفقيا وعموديا.

- كان للعلاقات الدلالية المنطقية وانتشارها المتميز في النص أثر فعال في تماسك النص وانسجامه.

- كان لعلاقة الإجمال والتفصيل أثر في توضيح المعنى. فجملة (ألا تتقون) هي بنية نصية واحدة(مجملة) أما تفصيلها فهو مجموعة من البنيات النصية التي ارتبطت بالبنية المجملة وحققت معها استمرارية دلالية داخل النص.

هوامش:

1- سعيد بحيري: علم لغة النص - المفاهيم والاتجاهات- 2004، مؤسسة المختار، ط1، ص 111.

[2]- إلهام أبو غزالة وعلي خليل: مدخل إلى علم لغة النص، 1999، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 2..ص 120.

[3]-نذكر على سبيل المثال- دراستين أكاديميتين (دكتوراه) في هذا المجال هما: "الدلالة النحوية وأثرها في استثمار الأحكام الفقهية من القرآن الكريم" لعزّ الدين سليماني. و"تفاعل المفردات مع الوظائف النحوية وأثره في إنتاج الدّلالة في الجملة القرآنية" لنعيم محمد عبد الغني.

[4]- محمد محمد أبو موسى: دلالات التراكيب، ص269.

[5]- الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص83/81.

[6]- يقول أحد الباحثين: "إنّ نظريّة النّظم- والبلاغة بصورة عامة- إنّما وجبت حجّة مشروعيّتها في الوجود من حيث هي فنّ من أفنان الدّراسة اللّسانيّة عامة والدّراسة التركيبيّة على وجه الخصوص، وإنّ النّحو - وهو يبني نظرية النّظم ويرفع قواعدها، ليقوم مقام الجسر الواصل بين النّحو والبلاغة ولنقل-وغايتنا تعميم الحكم- بين علم اللّغة والأدب." محمد عمر الصاري: النّحو والنّظم عند عبد القاهر الجرجاني،1998، أعمال ندوة عبد القاهر الجرجاني، جامعة صفاقص، تونس،. ص12.

[7]- انظر: عبد الفتاح لاشين، التّراكيب النّحويّة من الوجهة البلاغيّة، عند عبد القاهر الجرجاني، دار المريخ، العربية السعودية، (د.ت) ص87

[8]- مصطفى حميدة، نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربية، 1997 الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، ، ص162.

[9]- الزمخشري، الكشاف، ج3، ص351.

[10]- انظر السيوطي، معترك الأقران، ج2، ص368

[11]- يذكر ابن كثير أنّ قوم هود-عليه السلام-كانوا"في غاية من قوّة التركيب والقوّة والبطش الشديد والطول المديد والأرزاق الدارّة والأموال والجنات والأنهار والأبناء والزّروع والثمار وكانوا مع ذلك يعبدون غير الله." ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1980، دار المعرفة، ، ج3، ص341.

[12]- الزمخشري، الكشاف، ج3، ص377/

[13]- سيد قطب، في ظلال القرآن(1988)، دار الشروق، مصر، ط15. ج19، ص2603

[14]- انظر دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، 1998 ترجمة تمام حسان، عالم الكتب القاهرة، ط1، ص 102.

[15]- براون ويول، تحليل الخطاب، ، د.ت، ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع، الرياض ، د.ط. المقدمة (ص ي)

[16]- جون كوهن: بنية اللغة الشعرية، 1986 ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال، المغرب، ط1، ، ص 158.

[17]- يذكر نايدا أوجين في كتابه "العلاقات الدلالية بين البنيات النووية" أنّ هناك 19 علاقة يمكن أن تربط أفكار النص بعضها ببعض. انظر جميل عبد الحميد، البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص 142-148.

[18]- أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، 1983 ، دار الفكر، بيروت، ط2. ص 26.

[19]- المرجع نفسه، ص 30.

[20]- موسى القليبي، معجم الألفاظ القرآنية ومعانيها، (المسمى التحفة القليبية في حل الألفاظ القرآنية). 2002، تحقيق محمد محمد داود، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، ص158.

قائمة المراجع:

1.أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط،(1983) ، دار الفكر، بيروت، ط2.
2.الأزهر الزناد: نسيج النص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصا) (1993). المركز الثقافي العربي.ط1.
3.إلهام أبو غزالة وعلي خليل: مدخل إلى علم لغة النص(1999)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 2.
4.براون ويول، تحليل الخطاب(د.ت)، ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع، الرياض، د.ط.
5.الجرجاني: دلائل الإعجاز(2004)، تعليق: محمود محمد شاكر: مكتبة الخانجي، ط .5
6.جميل عبد الحميد، البلاغة العربية واللسانيات النصية(1998)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
7.جون كوهن: بنية اللغة الشعرية(1986)، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال، المغرب، ط.1
8.دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء(1998)، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب القاهرة، ط1.
9.الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، شرح يوسف الحمادي، مكتبة مصر..
10.سعيد بحيري: علم لغة النص - المفاهيم والاتجاهات(2004)- مؤسسة المختار، ط.1
11.السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق، علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي.
12.سيد قطب، في ظلال القرآن(1988)، دار الشروق، مصر، ط15.
13. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص(2004)، دار الكتاب المصري.ط1.
14.عبد الفتاح لاشين، التّراكيب النّحويّة من الوجهة البلاغيّة، عند عبد القاهر الجرجاني(د.ت)، دار المريخ، العربية السعودية.
15. مصطفى حميدة، نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربية(1997)، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط.1
16.موسى القليبي، معجم الألفاظ القرآنية ومعانيها، (المسمى التحفة القليبية في حل الألفاظ القرآنية)(2002). تحقيق محمد محمد داود، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1،.
17. .محمد محمد أبو موسى: دلالات التراكيب-دراسة بلاغية(1987)- مكتبة وهبه، مصر، ط2.
18. محمد عمر الصماري: النّحو والنّظم عند عبد القاهر الجرجاني(1998)، أعمال ندوة عبد القاهر الجرجاني، صفاقص، تونس.
19-- محمد خطابي لسانيات النص -مدخل إلى انسجام الخطاب-(2006) المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2،
20-.هنريش بليت: البلاغة والأسلوبية: (نحو نموذج سيميائي لتحليل النص)(د.ت)، ترجمة: محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب.